الفصل الثانى

الفسطاط النمو والتطور العمرانى

obeikandl.com

الفسطاط
النمو والتطور العمرانى

** الفسطاط فى العصر الأموى

أصبحت مصر منذ عام ٣٨ هـ/ ٦٥٨ م حتى عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م ، ولاية تابعة للدولة الأموية . وقد ولى عليها حوالى ستة وعشرين واليا فى فترة امتدت أربعة وتسعين عاما .

وقد تمثل عمران الفسطاط فى العصر الأموى فى ظاهرتين أساسيتين :ـ

الأولى : امتداد عمرانى للمدينة فى الجهة الغربية وذلك نتيجة إنحسار شاطئ النيل الشرقى وما تخلف عنه من طرح النيل عام ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م . وأضاف إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المبانى والمنشآت .

الثـانيـة : قدوم العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية ، بالإضافة إلى عملية التوالد والتكاثر المستمرة للقبائل القائمة بالفعل بالفسطاط منذ الفتح العربى ، وكان طبيعيا أن تؤدى هذه الظاهرة إلى إزدياد فى عـمـران المدينة ، واتسـاع فى نطاق الخطط وإزدحامها بالمساكن والمرافق [١] .

---

(١) د . محمود الحسينى ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

obeikandl.com

بدأت النهضة العمرانية بالفسطاط فى العصر الأموى على يد واليها مسلمة بن مخلد الأنصارى (٤٧ ـ ٦٢ هـ / ٦٦٧ ـ ٦٨١ م) [١].

فقد بنى فى الروضة مقياسا للنيل ودارا للصناعة وعنى ببناء المساجد واصلاحها فقد أمر عام ٥٣ هـ / ٦٧٢ م بهدم جامع عمرو بن العاص وبنائه من جديد ، كما أمر ببناء منارات للمساجد كلها [٢].

وتأثرت الفسطاط بالاضطرابات السياسية التى وقعت فى هذا العصر ، وكان من آثار هذه الاضطرابات خضوعها لعبد الله بن الزبير أثناء ثورته على يزيد بن معاوية ، وقام والى ابن الزبير ، ابن جحدم فى سنة ٦٤ هـ / ٦٨٢ م ، عندما زحف عبد العزيز بن مروان على مصر ، بحفر خندق حول الفسطاط ، ويقال إنه حفره فى شهر واحد وقام بذلك ثلاثون ألف رجل . وهو الخندق الذى بقى بمقبرة الفسطاط إلى أيام الكندى الذى توفى فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م [٣].

على أن أشهر الولاة الأمويين على الفسطاط ومصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ هـ ـ ٨٦ هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) الذى استمر حكمه إحدى وعشرين سنة ، ويعود إليه الفضل الأكبر فيما حدث من نهضة عمرانية كبيرة بالفسطاط فى العصر الأموى فقد استطاع بحكمته أن يهيمن على قلوب المصريين عامة [٤].

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٣٨ ـ ٤٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ ـ ٤٠ .
(٣) د . فريد شافعى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٩ .
(٤) د . محمود الحسينى ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

فبنى مقياساً للنيل وزاد فى جامع عمرو بن العاص ، وأقام عام ٦٩هـ/ ٦٨٨ م قنطرة على خليج أمير المؤمنين بطرف الفسطاط سجل عليها اسمه [١].

وإتخذ عبد العزيز بن مروان من حلوان مقراً لحكمه ، وكان قد بدأ فى تشييدها عام ٦٧ هـ/ ٦٨٦ م ، وبهدف أن تكون منتزها له ، وليقيم فيها للراحة والاستجمام ، ولكن ظهور طاعون فى الفسطاط عام ٧٠ هـ ، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم وكان قد شيد بها قصراً ودوراً وعمرت حلوان منذ ذلك الحين ، وسكنها رجال عبد العزيز بن مروان ، وهى باقية إلى اليوم . ولكن لا يوجد أى أثر بها يعود لعصر عبد العزيز بن مروان وتقع حلوان إلى الجنوب من الفسطاط بعشرة كيلو مترات ، وسماها حلوان لاتفاقها من حيث الموقع وجودة الهواء مع حلوان العراق[٢].

ولكن سرعان ما عاد مقر الحكم إلى الفسطاط بعد عبد العزيز بن مروان فى عام ٨٧ هـ/ ٧٠٦ م ، أثناء ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر من قبل أخيه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، أمر هذا الوالى بتعريب جميع الدواوين ونسخها باللغة العربية بدلاً من اللغة اليونانية والقبطية [٣]وقد كان لهذا الحدث أثره فى تاريخ الفسطاط ، إذ

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) د . سعاد ماهر ، القاهرة القديمة وأحياؤها ، ص ١١٧ المكتبة الثقافية ، العدد ٧٠ ، ١٩٦٢ م .

(٣) د . أحمد مختار العبادى ، مرجع سابق ، ص ٤٦٣ .

اضطر الأقباط المقيمين فى المدينة والعاملين فى الدواوين إلى تعلم العربية ، وبالتالى الإندماج فى المجتمع العربى الإسلامى . خاصة أيضا أن ضرورات الحياة اليومية والتى تجعل المصريين يتصلون بالسلطات قد كرست استخدام اللغة العربية ، ونضيف إلى ذلك تحول المصريين إلى الإسلام بدلا من المسيحية .

وحدث فى الفسطاط خلال العصر الأموى تغيير فى التركيبة السكانية بالمدينة ، فقد تزايد عدد المسيحيين المصريين فيها وتشييدهم العديد من الكنائس ، وهو ما يدل على روح التسامح التى سادت المجتمع آنذاك ، ومنها كنيسة شيدت فى الحمراء القصوى شمال الفسطاط وهى خاصة بعناصر أجنبية مسيحية عملت فى خدمة الجيش الإسلامى ، وشيدت كنيسة القديس مينا فى الحمراء الوسطى ، وبالقرب من خطة أهل الراية شيدت كنيسة للقديسة مريم ، ويرى عالم الآثار فلا سيلاف كوبياك أن عدد القاطنين فى الفسطاط قد بلغ فى هذا العصر ٢٠٠ ألف [٤] .

وفى خلال العصر الأموى استكملت خطط الفسطاط عمرانها ، إذ وجدت العناصر السكانية الجديدة فى الفراغات داخل الخطط مساحات لسكناها ، وتحقق « جيرو » من حدوث تزايد سكانى فى شمال الفسطاط حين أجرى حفائر فى منطقة إسطبل عنتر ، وتشير كل هذه التطورات إلى

---

(1) W. Ku Biak, Al Fustat, Its Foundation and early urban develop ment , P 80 - 83 , 131
The Ame rcan university Cairo Press -- 1988

تحول الفسطاط من نمط المدينة المعسكر ، إلى نمط المدينة الحقيقية ، ثم إلى المدينة المختلطة سكانيا [١] .

وتعرضت الفسطاط لأول حريق متعمد فى أواخر الدولة الأموية عندما فر مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين من الشام إلى مصر ، تطارده جيوش العباسيين بقيادة صالح بن على وأبى عون عبد الملك بن يزيد . فأضرم مروان بن محمد النيران فى الفسطاط وأحرق دار آل مروان المذهبة ، وأحرق الجسرين اللذين كانا يوصلان بين الفسطاط وجزيرة الروضة ثم بينها وبين الجيزة ، ولكن العباسيين أدركوه فى قرية أبو صير وقتلوه[٢]واستقر لهم من بعد ذلك أمر مصر .

وإذا ما عدنا إلى المراحل التى مرت بها الفسطاط سنجد أن ابن خلدون قد أضاء لنا فى مقدمته أبعادًا عن التطور العمرانى للمدن ، فهو يقول «إعلم أن الأمصار إذا اختطت أولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما مما يعالى على الحيطان عند التأنق كالزلج والرخام والربج والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون يومئذ يدويا وآلاتها فاسدة .

---

(1) Gayrad , is Tabl AnTar , P 60 - Rapport de Fouilles , Annales islamologivues n,25 1991 .

أندرية ريمون ، القاهرة ، تاريخ حاضرة ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات ، القاهرة ١٩٩٤ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ٣٠٤ .

د . فريد شافعى ، مرجع سابق ، ص ٣٦٠ .

وما ذكره ابن خلدون عن العمارة البدائية أو البسيطة ينطبق على عمران الفسطاط فى عصر الولاة ، ولذا لم يصل إلينا منه شىء يذكر . إذ لازالت الفسطاط المدينة المعسكر ، وبدأت تتحول آنذاك تدريجيا إلى مدينة تجارية صناعية إدارية .

ولكن كما يذكر ابن خلدون « إذا عظم عمرانها عمران المدينة وكثر سكانها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثر الصناع إلى أن تبلغ غايتها من ذلك »[1] وهذا ما حدث بالفسطاط فى عصر بنى أمية إذ اختلط المصريون بالعرب ، واشتغل بعض العرب بالتجارة والحرف ، وتركوا الجهاد ، ولما كانت الفسطاط مدينة حقيقية متكاملة كما سبق وأن ذكرنا ، فإنها لا تصلح لإقامة الجند إذا أنهم سرعان ما سيختلطون بالحياة العامة فى المدينة ، ولعل هذا أحد أسباب تأسيس العباسيين للعسكر والسبب الآخر هو كثرة أنصار بنى أمية فى الفسطاط .

* العسكر

نزلت جيوش العباسيين بمنطقة الحمراء القصوى من الفسطاط ، وكانت تقع إلى الشمالى الشرقى منها ، وهى التى نزل فيها من قبل قبائل بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر بن جزيلة ، ثم خربت خططهم وبقيت صحراء إلى أن نزلها عسكر العباسيين ، وأمر أبو عون بالبناء فيها ، فبنيت فى العسكر دارا للإمارة ومسجدا عرف بجامع العسكر ثم

---

(١) ابن خلدون المقدمة ، الجزء الثالث ، ص ٨٥٨ .
تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، طبعة لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

عرف بجامع ساحل الغلة وصارت مدينة ذات أسواق ودور عظيمة . وهذا الموقع الذى أختير للعسكر كانت تحتمه طبيعة الأرض فى ذلك الوقت ، إذ كان هو الامتداد الطبيعى للفسطاط ، فقد كان يوجد فى شمال الفسطاط بركة قارون كما كانت توجد بركة عظيمة تسمى بركة الحبش فى الجنوب من ذلك الشريط يدخل اليها الماء من النيل . سكن العسكر ولاة مصر العباسيين ، حيث حكم منها مصر خمسة وستون واليا باستثناء الفترة التى اتخذت فيها القطائع عاصمة لمصر . إذ سرعان ما عادت العسكر عاصمة لمصر ، هذا وقد اتصل عمران العسكر بالفسطاط حتى أصبحا مدينة واحدة .

ولم يتبق اليوم من أثر للعسكر إذ هجرت فى مرحلة لاحقة ، حتى أورد المقريزى فى ذلك أبياتا من الشعر تقول :

وبادوا فلا مخبر عنهم وماتوا جميعا وهذا الخبر

ومن كان ذا عبرة فليكن فطينا ففى من مضى معتبر

وكان لهم أثر صالح فأين هم ثم أين الأثر ؟

ويقصد المقريزى هنا ولاة مصر الذين حكموها من العسكر ، فقد كان عهدهم عهد إضطرابات [1] فضلاً عن أن آثارهم المعمارية نادرة .

---

(١) عن هذه الاضطرابات انظر ، عبد السلام الترمانينى ، أزمنة التاريخ الإسلامى ، حـ ١ ، مجلد ٢ ، ص ٦٣١ ـ الكويت ١٩٨٢ م .

* القطائع

تولى أحمد بن طولون [1] حكم مصر نيابة عن صهره باكباك القائد التركى ، ودخل الفسطاط فى ٢٣ رمضان سنة ٢٥٤ هـ .

إستقر أحمد بن طولون أول الأمر فى دار الإمارة بالعسكر ، ولكن مع نمو طموحه السياسى ، وتكوينه حاشية وجيش له ، رأى أن العسكر لاتتسع له ولجنده ، وخاصة أن ما حدث بالفسطاط من تحولات وأسباب سياسية لنقل مقر الحكم تكررمرة أخرى بالنسبة للعسكر .

صعد أحمد بن طولون إلى جبل المقطم ونظر إلى ما حوله فرأى بين العسكر والمقطم بقعة فضاء مساحتها نحو ميل مربع فأمر بإقامة مدينة عليها ووضعت خطط هذه المدينة فى شعبان ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م . وامتد هذا المقر من أسفل قلعة القاهرة حالياً إلى مشهد زين العابدين المجاور إلى السيدة زينب ، واختط ابن طولون قصره وأمر أتباعه أن يشيدوا بيوتهم ، وأقطعت كل جماعة من الجند منطقة خاصة بها سميت بمن سكنها ، وعمرت أسواق بها ومنها سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين والفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين ، وبنيت بالمدينة المرافق

---

(١) هو أحمد بن طولون ولد فى ٢٣ رمضان ٢٢٠ هـ / ٢٠ ستمبر ٨٣٥ م ، فى بغداد أوسر من رأى ، وكان أبوه طولون تركيا من موالى نوح بن أسد السامانى عامل بخارى خراسان ، أهداه إلى المأمون من جملة مما ليكه ، ونشأ أحمد على حفظ القرآن واتقنه ، ودرس الفقه الحنفى ، وقد استقل بمصر عن الدولة العباسية ، وأطنب المؤرخون فى وصفه وفى كتابه سيرته ـ وتوفى فى ذى العقدة ٢٧٠ خـ / ٨٨٤ م .
انظر ، د . حسين مؤنس ، تاريخ مصر من الفتح العربى إلى أن دخلها الفاطميون ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ .

الخاصة بها من مساجد وحمامات وطواحين وأفران ، وبقى المسجد الجامع الذى شيده ابن طولون بعد أن ضاق مسجد العسكر بأتباعه ، وأحتفل بوضع مسجد ابن طولون على جبل يشكر عام (٢٦٣ هـ / ٨٧٦م) وانتهى تشيده بعد عامين ، ومازال هذا الجامع باقيا إلى اليوم ، وهو الأثر المعمارى الوحيد الباقى من مدينة القطائع التى إتصل عمرانها آنذاك بالعسكر والفسطاط .

وتولى بعد أحمد بن طولون الحكم ابنه خمارويه فاستقر حكمه بالقطائع ووسع قصر أبيه وضم إليه الميدان وحوله إلى بستان ، وشهدت القطائع فى عهده ازدهاراً عمرانيا . ولكن بعد وفاة خمارويه هوى نجم الأسرة الطولونية وأخذت فى الإنحلال وأقبل محمد بن سليمان القائد العباسى للاستيلاء على مصر ودخل القطائع فى عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، وألقى النار فيها فالتهمت الدور والمساجد والحمامات ونهبت المدينة ، ولم يبق منها سوى مسجدها الجامع . وعاد مقر الحكم إلى العسكر مرة أخرى .

* فى العصر الأخشيدى

كثرت الثروة فى مصر فى عهد الأخشيديين فى يد الأمراء الحاكمين وفى يد الطبقة العليا من السكان [١] مما أدى إلى ازدهار العمران وكثرت المبانى والبساتين والدور الخاصة والمنشآت الهامة فى العاصمة وفيما جاورها بوجه خاص تشهد بذلك النصوص التاريخية التى نقرؤها .

---

(١) سيدة الكاشف ، مصر فى عصر الأخشيديين ، ص ٢٤٨ .

فعلى سبيل المثال ما ذكره ابن حوقل فى أوائل العصر الفاطمى عن الفسطاط فهو بلا شك يصور لنا حالة تلك المدينة فى أواخر العصر الأخشيدى وما تزدان به من المبانى الفخمة والمنشآت الحسنة ، حيث يقول ، « والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام . . وبساتين نضرة [١] » .

ومن أبرز ما أنشىء فى الفسطاط هذا العصر :

ـ السبع سقايات :

شيدها الوزير جعفر بن الفرات عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م لتزويد سكان الفسطاط وخاصة منطقة الحمراوات بالماء اللازم لهم ، وذلك عندما انحسر ماء النيل عن تلك المنطقة حتى أدى الأمر بالناس إلى أن يسيروا هم ودوابهم مسافات طويلة وشاقة كى يستقوا من بحر الجيزة فيما بين الروضة وبين الجيزة [٢] .

وقد جعل لها بئرا لينقل منها الماء الى السبع سقايات أنشأها وحبسها لجميع المسلمين الذين كانوا بخط الحمراء وكتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم » لله الأمر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على على عبده جعفر بن الفضل بن الفرات وما وقفه له من البناء لهذه البئر وجريانها إلى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٦ .
(٢) المقريزى ، الخطط حـ ١ ، ص ٣٤٤ .

وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشيء من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق إلا إلى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه . إن الله سميع عليم وذلك فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ـ وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم [١].

وكانت هذه البئر تغذى السبع سقايات عن طريق مجرى أرضى وبهذه الطريقة كان يجلب الماء إلى سكان الحمراوات [٢].

** دار الصناعة .

كان لدار صناعة السفن أثر هام فى النمو العمرانى للفسطاط ، إذ كانت لأهميتها فى صناعة السفن الحربية والتجارية أثر فى استمرار أهمية الفسطاط ، حتى بعد أن أصبحت القاهرة هى مركز الثقل الاقتصادى فى البلاد ، والقلعة مقرا للحكم . ولأهمية هذه الدار سواء حين كانت فى شاطئ جزيرة الروضة أو حين نقلت إلى الجزء الشمالى للفسطاط سنخرج عن السياق التاريخى ، ونفرد لها هنا قسما خاصاً ، حتى يستطيع القارئ استيعاب إستمرار النمو العمرانى لشاطئ الفسطاط فى مناطق طرح النهر ، وكذلك استمرار أهمية المدينة وبقاؤها إلى اليوم .

شيدت دار الصناعة فى جزيرة بابليون (الروضة حاليا) فى سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣ م ، ويرجع سبب تشييدها إلى الهجوم الذى شنه الأسطول

---

(١) سيدة الكاشف ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .
(٢) د . محمود الحسينى ، المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

البيزنطى على مدينة البرلس ، وكبد المسلمين خسائر فادحة [١] وذلك عام ٥٣ هـ / ٦٧٢ م .

وكشفت أوراق البردى التى ترجع إلى عهد ولاية قرة بن شريك على مصر عن نشاط دار الصناعة فى تلك الفترة ، ففى البردية رقم ١٤١٠ بتاريخ ٩١ هـ / ٧٠٩ م يأمر الوالى قرة بن شريك سكان قرية أفروديتو (كوم أشقوه) بتوفير أربعة عمال مهرة وثلاثة نجارين وقلاف من أجل إصلاح السفن بترسانة بابليون [٢] .

وتتعد موضوعات البرديات التى تتعلق بصناعة السفن ففى البردية رقم ١٣٧١ أمر بتجهيز السفن بجزيرة بابليون ، والرسالة رقم ١٤٠٨أمر بعمل المسامير ، كما تتضمن البرديتان رقم ١٤٣٣ و ١٤٣٤ تفصيلات عن البحارة والعمال الفنيين كالقلافين والنجارين والحدادين وغيرهم اللازمين لاصلاح وبناء وتنظيف السفن . . . . الخ [٣] .

ونشطت منطقة الترسانة أو دار الصناعة فى العصر الطولونى خاصة أن أحمد بن طولون شيد قلعة بالجزيرة سرعان ما تهدمت بعد ذلك بسنوات ، وفى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦م بنى محمد بن طغج الأخشيد داراً لصناعة السفن بالفسطاط ، فغدت السفن تصنع تارة بالفسطاط وتارة بالجزيرة ، ويذكر الكندى ، أن الفسطاط كانت مركزاً هاماً للسفن فيقول

---

(١) ابن عبد الحكم ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٢) د . على محمد فهمى ، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠، بحث ضمن كتاب البحرية الإسلامية ، جامعة الإسكندرية ١٩٧٣ م .

(٣) د . على فهمى ، مرجع سابق ، ص ٣٥٣ .

« وبمصر ثمانون كورة وبكل كورة مدينة ، وتلك المدن كلها تؤتى فى الماء فى السفائن تحمل المتاع والآلات إلى الفسطاط وتحمل السفينة الواحدة ما يحمله خمسمائة بعير . ويعرض المقدسى وصفا ممتعا للسفن هناك فيقول « أنه بينما كان يتنزه على احدى ضفاف النهر متعجبا من كثرة السفن الراسية والمشيدة حياه رجل وسأله عن موطنه ، وعندما أجابه أنه جاء من المدينة المنورة أجابه الرجل أنها مدينة كبيرة ، ولكنى أخبرك يا صديقى رعاك الله أن القوارب الراسية على طول هذا الشاطئ وتلك التى غادرته إلى عديد من المدن والقرى على درجة من الكثرة تمكنها من نقل كل سكان مدينتك بالاضافة إلى أخشابها وتجارتها حتى أن الناس إذا ما شاهدوها يقولون « فى هذا المكان كانت توجد مدينة » [1] وكلا النصين السابقين لهما دلالاتهما ، ومن هذه الدلالات أن الفسطاط كانت مركزاً إقتصادياً هاماً ، أنه يترتب على هذا النشاط الاقتصادى حاجة شديدة إلى مركز لصناعة السفن النيلية لتنقل التجارة من وإلى الفسطاط .

ظلت دار صناعة السفن بالفسطاط تعمل أيام الفاطميين والأيوبيين ، ويدل على ذلك ما ذكره المقريزى بقوله « وأنشئت سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م أربع حراريق لصناعة مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن [2] .

على أن نشاط هذه الصناعة لم يقتصر على انشاء المراكب النيلية فقط ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

(٢) المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، تحقيق د . محمد مصطفى زيادة و د . سعيد عاشور ، حـ مجلد ١ ، القسم ١ ، ص ٧٤ . القاهرة ١٩٥٨ .
د . عاصم رزق ، مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ، ص ٣٩ سلسلة الألف كتاب الثانى ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٩ م .

وانما إمتد إلى بناء السفن الحربية التى أمدت صلاح الدين الأيوبى بأساطيل البحر المتوسط خلال حروبه مع الصليبيين فى الشام ، فكانت هذه الأساطيل بعد بنائها فى دار صناعة الفسطاط تشحن بآلات الحرب والمقاتلين ثم تبحر فى النيل إلى الإسكندرية أو رشيد أو دمياط أو الفرما ، ومنها إلى البحر المتوسط لملاقاة الصليبيين [١] وبلغ من اهتمام الأيوبيين بالأسطول أن أنشأوا له على عهد صلاح الدين ديوانا خاصاً سموه «ديوان الأسطول» ورصدوا له ميزانية كبيرة [٢] ولقد كان للسفن الحربية التى بنيت فى هذه الدار على عهد الكامل محمد وابنه الصالح أيوب الفضل فى صد العدوان الصليبى على مصر الذى قاده صاحب عكا ، وعدوان لويس التاسع ملك فرنسا [٣] ثم سار سلاطين المماليك من حيث العناية بهذه الدار على نهج بنى أيوب فيذكر المقريزى أن السلطان الظاهر بيبرس كان قد أصدر مرسوماً يمنع الناس من التصرف فى أعواد العمل (أى خشب السفن) وأمر بأن تنشأ لتخزين هذه الأعواد عشرين شونة ، ليس هذا فقط بل لقد لازم الركوب بنفسه إلى هذه الصناعة كل طوال شهر المحرم سنة (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) ليباشر انشاءها حتى انجازها [٤] .

كذلك إهتم الأشرف خليل ببناء أسطول فى دار صناعة مصر سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) وعهد بإعداده إلى الوزير ابن السلعوس ، ثم سار

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٤) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٩٤ .
عاصم رزق ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

الناصر محمد بعد ذلك على نهج أخيه وبنى هذه الدار سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢) أسطولاً غزا به جزيرة أرواد عند ساحل مدينة طرطوس شمالى طرابلس الشام [١] ألا أن دوام الحال بالنسبة لهذه الصناعة كان من المحال ، فتوقف العمل بالدار بعد أن تكون على مر الأيام حرف فى البحر الذى يفصل بينها وبين جزيرة الروضة ، فتحولت أرضها سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م إلى بستان عرف ببستان كيسان ثم ببستان الطواشى [٢] ونقلت دار الصناعة غالبا إلى موقع شمالى الموقع القديم على ساحل النيل بالقرب من دير النحاس حيث إستقرت مدة طويلة ، ثم نقلت مرة أخرى إلى ساحل بولاق خلال عهد محمد على [٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٩٧ .
عاصم رزق ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

obeikandl.com